تجربة الجيش الشعبي تجسيد لحلم كبير

أيها الرفاق . . أيها البعثيون[1]

ان هذه الروح التي تتجلى فيكم، روح الفداء، هي أساس روح البعث وحركة البعث، وأنتم الان تجسدون على أرض الواقع حلما كبيرا وعزيزا راودنا ورافقنا منذ عشرات السنين، وشاء الله ان نراه باعيننا متحققا وعلى أروع شكل.

أيها الرفاق

كان الرفيق القائد العام، يحدثني ونحن آتون الى المعسكر عن الدروس التي أفاد منها الحزب، خاصة دروس تجربة عام ١٩٦٣، وتجربة الحرس القومي، حتى جاءت تجربة الجيش الشعبي بهذه المزايا العظيمة التي شهد بها الاصدقاء الاقربون والبعداء، شهد بها العالم بأنها من اروع التجارب وأنجحها، ذلك أيها الرفاق ـ ان حركتنا هي حركة انبعاث امة عظيمة مؤهلة لان تستفيد من كل التجارب ومن كل الدروس ومن الاخطاء والسلبيات كما تستفيد وتقوى بالنجاحات والانتصارات، هذه الحركة بدأت كما تعلمون جميعا بافراد قلائل، ومرت بظروف صعبة وتجارب عديدة، وها أنتم ترون هذه النتائج التي تفوق الاحلام في عظمتها وروعتها، هذه الملحمة الخالدة التي يخوضها العراق وجيش العراق وشعب العراق وأنتم طليعته بشكل يحيي الآمال ويبعث الثقة بمستقبل الامة وبنهوضها القريب لان امتنا امة واحدة، وما يتحقق في جزء منها لاشك انه قابل ان يتحقق في جميع اجزائها.

عندما استلم حزبكم السلطة في هذا القطر بعد ثورته المجيدة في السابع عشر

---

(١) حديث مع المقاتلين في معسكر تدريب الجيش الشعبي في ٢٧ /١/ ١٩٨٢.

من تموز، بعد استلام الحزب للسلطة كان من جملة ما يشغل بالنا ويسبب لنا بعض القلق هو ان الاجيال التي تدخل الحزب بعد استلام السلطة يكون قد فاتها ان تمر بتلك التجارب العسيرة المريرة في زمن النضال السري وفي العهود الرجعية وفي عهود القمع، وكنا نبحث دوما عن التدابير والعلاجات الفكرية والنفسية والعملية التي تشكل حرزا للبعثيين من مغريات وسهولات السلطة لكي يحتفظوا بنضاليتهم كاملة. والحقيقة بان قدر هذا الحزب الذي هو قدر امتنا العظيمة انه دوما يتقدم الى امام، ودوما يكشف عن جوهر وامكانات وطاقات وفضائل أعظم من التي كشف عنها في المراحل السابقة، فأنا اعتقد بان الاجيال البعثية المناضلة التي كان لها سبق النضال خلال الاربعين سنة الماضية، تنظر اليكم بانكم حققتم مثلها وأحلامها وتقدمتموها وسبقتموها، وانكم لاتحتاجون ان تأسفوا على انكم لم تعيشوا التجارب الماضية بل ان البعثيين السابقين، بعثيي المراحل السابقة هم الذين يغبطونكم على انكم وجدتم في هذه المرحلة التاريخية النادرة التي تكتبون فيها لمدى قرون طويلة امجادا خالدة لامتكم ومن هنا ستنطلق النهضة العربية ويسري دمها وروحها المحببة الى سائر اعضاء الجسد العربي.

اذن أيها الرفاق، حزبكم، حزب البعث العربي الاشتراكي يسير وفق قوانين الحياة الصحيحة الصحية، أي انه يبدأ صغيرا ثم ينمو ويكبر وتتجلى مواهبه وطاقاته التي هي من مواهب الامة والشعب وطاقاته، وانه يكبر باستمرار وان مستقبله أمامه لاوراءه، وهذا ما يطمئننا ويقوي املنا في المستقبل بأن ما ينتظر الامة العربية في مستقبلها هو اعظم حتى من هذه الايام الخالدة وهذه الملاحم البطولية الرائعة التي تتم على أيدي الجيش العراقي الباسل وأيديكم. اذن، حزبكم قد تطور التطور السليم ومر بالتجارب واستفاد من الدروس حتى وصل الى هذه التجربة الموفقة في العراق، هذه التجربة التي تنمو ونشعر بان روح الله تباركها وتسري فيها لانها توفرت لها الشروط التي يندر ان تتوفر بتجربة ثورية وهذا يعود الى صدق هذه الحركة الصادقة، حركة البعث التي حملت منذ اربعين عاما هذه الفكرة، هذا التصور العميق لكيفية انبعاث الامة من جديد ولبناء المستقبل العظيم لهذه الامة العظيمة، وأصرت على هذه الفكرة وعلى تحقيقها بهذه الصورة بعناد وبايمان المؤمنين

المجاهدين حتى كوفئت بالنجاح وبالنصر، وجاءت هذه التجربة وظهرت هذه القيادة وظهر القائد الذي يجمع ويلخص في شخصه، في شجاعته، في ايمانه، في عقله النير ما كان يحلم به حزب البعث منذ بدايته.

أيها الرفاق

ان شروطا نادرة ومزايا باهرة تجمعت لهذه التجربة ولهذه القيادة ولهذا القائد الفذ، ولكن اعتقد بان الشرط الاهم الذي كان مفقودا هو شرط الفكر النير ـ العقل الكبير، العقل الحديث الذي عندما يضاف الى الايمان والى الشجاعة والى الارادة التاريخية يصنع المعجزات فكان محكوما ان يحقق النصر تلو النصر على العدو الجاهل وان نبقى منتصرين لان ابرز صفة يتميز بها هذا العدو هي صفة الجهل، ولولا الجهل، لولا جهل العدو المغرق لما خفيت عنه حقائق لايجوز لاي كان في هذا العصر ـ أن يجهلها، حقيقة انبعاث الامة العربية من جديد، وحقيقة ان العراق يعيش منذ اربعة عشر عاما في نهضة شاملة.

جاءت هذه المعركة المباركة التي لم نردها وانما فرضت علينا لتتوج هذه النهضة وتكملها وتكشف عن طاقات لم تكن محسوبة، هذه المعركة ـ أيها الرفاق ـ أرادوها هم، جهلا، وغطرسة وافتراء وقبلنا المنازلة، ولكننا في حرب دفاعية وفي حرب عادلة وهم المعتدون، وهم المفترون، لاننا نحن لم ننظر يوما الى التوسع مادامت ارضنا مازالت مغتصبة من قبل العدو الصهيوني، مادامت فلسطين تطالب العرب بالانقاذ والتحريض، فاذن هل كان يعقل ان نفكر في غزو قطر مجاور وفي التوسع، ونحن امامنا طريق طويلة ومهام كبيرة لاستكمال استقلال وتحرير ارضنا العربية ولاستكمال وحدتنا القومية، ولاستكمال نهضتنا الجديدة، ولكن أراد القدر ان يجعل من هذه المعركة التي فرضت علينا مجالا، لكي يظهر الشعب في هذا القطر العظيم، وان يظهر البعثيون كل ما تنطوي عليه نفوسهم من امكانات عظيمة ومن بطولات يوجهونها بعد النصر النهائي الحاسم والاكيد على العدو الفارسي، سوف يوجهونها على العدو الصهيوني وعلى الامبريالية وعملائها لتطهير أرضنا العربية من رجس كل اغتصاب واحتلال وخيانة وتخلف، وانتم أيها الرفاق، جنود البعث العربي تعرفون بان حركتكم التاريخية لم تطلب منكم شيئا قليلا، لم تطلب منكم نضالا وقتيا، طلبت منكم

وطلبت من كل الاجيال البعثية ـ منذ اربعين عاما وحتى اليوم ـ ان يهيئوا انفسهم لمعركة البعث العربي وتحرير الارض العربية وتحقيق الوحدة العربية وبناء حضارة عربية جديدة، طلبت منكم ان تعطوها كل شيء، ان تقدموا حياتكم ودماءكم في سبيل عظمة امتكم وفي سبيل حريتها وكرامتها.

ان الله بارك هذه التجربة وبارك هذا القطر وشعبه العظيم، وانتم ترون أي مصير اسود وصل اليه الذين اعتدوا على الحزب في القطر السوري والذين ظنوا انهم باغتصاب اسم البعث يستطيعون ان يخدعوا الناس ويخدعوا الشعب، ووصلوا الى مالا يحسدون عليه من مذلة الخيانة بينما جسدتم انتم في هذا القطر البعث العربي على حقيقته وفي نصوعه واشراقه وامامكم المستقبل الفسيح المديد لتكملوا رسالتكم التي هي رسالة الامة العربية الخالدة. . والسلام عليكم.

٢٧ كانون الثاني ١٩٨٢